

# بين المطرقة.. والسندان

محمد السهاك



لقد استخدم الإسلام في الصراعات الدولية أسوأ استخدام، وألحق هذا الاستخدام به أضراراً تشويهية فادحة. ووجد المسلمون أنفسهم واقعين بين مطرقة وسندان القوى المتصارعة



■ ■ يشكو المسلمون، كما يشكو غير المسلمين من توظيف الدين الإسلامي في السياسة، وبصورة أخص في الخلافات السياسية وحتى في المحاور العسكرية. إن استغلال الإسلام في الصراعات الدولية ليس جديداً. فهو لم يبدأ مع ٢٠٠١/٩/١١ ولن ينتهي بالحرب على الإرهاب. وسيبقى الإسلام مادة لهذا النوع من الاستغلال طالما أن المؤمنين به في حالة ضعف واستضعاف رغم كثرتهم (مليار و٢٥٠ مليون مسلم)، وطالما أن توازن القوى يعطى المتلاعبين به اليد العليا في لعبة الأمم.

فخلال الحرب العالمية الأولى جرت أول عملية لاستغلال الإسلام. قامت بتلك العملية ألمانيا من جهة، وبريطانيا من جهة ثانية ومعاكسة. فالتحالف الألماني العثماني حمل اسطنبول باعتبارها مركز الخلافة الإسلامية على

## توظيف الإسلام في

إعلان «الجهاد المقدس» ضد بريطانيا وحلفائها (فرنسا وإيطاليا) في الحرب. كانت الغاية من هذا الإعلان تحريض الشعوب الإسلامية ضد بريطانيا في آسيا الوسطى (انطلاقاً من أذربيجان التي كانت ألمانيا تتطلع إلى ثروتها النفطية منذ ذلك الوقت) وفي الشرق الأوسط الذي كانت تتقاسم السيطرة عليه بريطانيا وفرنسا امتداداً حتى الهند التي كانت في ذلك الوقت دولة واحدة مع باكستان وبنجلادش، والتي كانت تعتبر ديرة التاج البريطاني. كانت ألمانيا تمني النفس بتوسيع تحالفها مع تركيا ليشمل هذا التحالف إيران وأفغانستان امتداداً إلى مسلمي القارة الهندية. ومن أجل ذلك أوفدت بعثات سرية إلى كل من طهران وكابول بين عامي ١٩١٤ و ١٩١٥. استهدفت تلك البعثات إقناع المرجعيات الشيعية بإعلان الحرب المقدسة على بريطانيا<sup>(١)</sup>، على غرار ما فعل الأتراك.

بدا للألمان أنهم نجحوا في خطتهم، إلا أن أمير أفغانستان آثر بعد تردد الالتزام بالحياد. أما المرجعيات الشيعية فأعدت النظر في حساباتها على خلفية الصراع العثماني - الفارسي وقررت الالتزام بالوقوف إلى جانب بريطانيا. وبالتالي ضد التحالف العثماني - التركي.

بعد نجاحها في تفشيل المسعى الألماني، تحركت بريطانيا في ردها على الدعوة العثمانية للجهاد المقدس باتجاهين مختلفين:

تركز الاتجاه الأول على استقطاب مسلمي القارة الهندية، واستهدف تحريضهم على العصيان الديني على الخلافة العثمانية. وفي هذا الإطار تمكنت المخابرات البريطانية من تشكيل



حركات دينية - سياسية انطلاقاً من إيران وامتداداً حتى الهند، مروراً بأفغانستان. فقامت الحركة القاديانية، والحركة البابية والحركة الأحمدية، سواها. ولا تزال هذه الحركات مستمرة حتى الآن. وهي تتميز بخروجها عن إجماع أهل السنة، وعن الشيعة الاثني عشرية على حد سواء. كما أنها لا تزال، وحتى الآن أيضاً، على علاقة وثيقة ببريطانيا.

أما الاتجاه الثاني للرد البريطاني فتركز على العالم العربي وذلك من خلال استقطاب الشريف حسين وإغراقه بالوعود (التي نكثتها كلها بعد انتهاء الحرب) وفي مقدمتها الوعد بإقامة دولة عربية موحدة يكون هو ملكاً عليها. وقد أدى هذا التحرك البريطاني إلى إحداث الشرخ الذي لا يزال قائماً حتى اليوم بين العرب والأتراك وإلى تعميق الشرخ بين الأتراك والفرس. وعندما احتلت

في تشكيل فرقة من المتطوعين في شمال أفريقيا قاتلت القوات الإيطالية المتحالفة مع فرنسا وبريطانيا. أما المتطوعون المسلمون العرب الذين نقلوا إلى ألمانيا نفسها، فقد قضى عليهم في حملة بابلوسا المأساوية الفاشلة التي شنتها ألمانيا على روسيا والتي قصمت ظهر القوة العسكرية الألمانية وأدت إلى هزيمتها بعد ذلك.

لقد دفع العرب والمسلمون - ولا يزالون - ثمن التعاون الشكلي والمحدود مع ألمانيا رغم المواقف المعاكسة التي اتخذتها الدول العربية كافة بإعلان الحرب عليها استجابة لطلب بريطانيا وفرنسا. ولا تزال تهمة اللامسامية تطارد المسلمين حتى اليوم بسبب ذلك التعاون - الذي لا يذكر - مع ألمانيا الهتلرية على قاعدة معارضة المشروع الصهيوني في فلسطين. فيما قطف اليهود ثمن انتصار

(مصر)، وكذلك الدعم الاقتصادي (بناء سد أسوان في مصر وسد الضرات في سورية). وانعكس هذا التجاذب انقسام العالم العربي إلى معسكرين أحدهما موالٍ لمعسكر واشنطن والأخر موالٍ لمعسكر موسكو. وقد شهدت أفغانستان المرحلة الأخيرة من مراحل هذه الحرب الباردة. كان السوفييت الذين يحتلون - منذ العهد القيصري - دول آسيا الوسطى - الإسلامية - يتطلعون إلى الوصول إلى المياه الدافئة في الخليج على أمل أن يضعوا يدهم على ثروته النفطية، وعلى شبكة الطرق التي تربط أوروبا الغربية بالشرق الأقصى. وكانت الدول الغربية بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية، تعرف ذلك، وتتصدى له. ولكن عندما احتل السوفييت أفغانستان بدا وكأن المشروع السوفيتي في طريقه إلى التنفيذ.

بالأسلحة الأمريكية، وبالأموال الإسلامية، وبالمتطوعين المسلمين.. إضافة إلى اهتمام وتعاطف الإعلام الغربي. فقامت في باكستان معسكرات التدريب العسكري تحت غطاء مدارس دينية. وتحول الطلاب.. إلى حركة طالبان القتالية التي كان الإعلام الأمريكي يطلق عليها عبارة حركة المجاهدين الأفغان. ولما انتصرت تلك الثورة في عام ١٩٨٩ وأخرجت القوات السوفيتية من الأراضي الأفغانية (كانت هزيمة هذه القوات أحد الأسباب الرئيسية لسقوط النظام الشيوعي والتحول نحو الرأسمالية والليبرالية على يد الرئيس جورجياشوف)، تغير الموقف الأمريكي منها وأصبح الإعلام الأمريكي يصفها بأنها حركة إرهابية. بعد أن وضعت الحرب الأفغانية (الإسلامية) ضد السوفييت (الشيوعيين

## الصراعات الدولية

بريطانيا العراق بعد ذلك في إطار اتفاقية سايكس - بيكو بينها وبين فرنسا، ألغت منصب الخلافة، ونصبت فيصل الأول ملكاً على العراق.

وخلال الحرب العالمية الثانية تغيرت المعادلات الدولية، فتحالفت إيطاليا مع ألمانيا وتحالفت تركيا مع بريطانيا وفرنسا. حاولت ألمانيا فك الارتباط التركي. البريطاني الفرنسي. وقام بتلك المحاولة مبعوث ادولف هتلر الخاص إلى اسطنبول فرانز فون باين Franz Von Papen. جرى ذلك في عام ١٩٤٠. كان طموح هتلر استعادة تركيا وامتداداً العراق الذي تفجرت ثروته النفطية الضخمة منذ ذلك الوقت، وكان النقط ولم يزل شريان الحياة لآلة العسكرية الألمانية والبريطانية معاً.

حاول المبعوث الألماني باين إغراء تركيا بإطلاق يدها في آسيا الوسطى، ولما فشل، حاول إقناعها على الأقل بالحياد، ولكنه فشل أيضاً. ونتيجة لهذا الفشل المزدوج توجهت ألمانيا مباشرة إلى العرب المسلمين وحاولت الدخول إلى قناعاتهم من مدخلين مختلفين:

المدخل الأول هو خيبة الأمل العربية من الوعود البريطانية الكاذبة في الحرب العالمية الأولى (رسائل الشريف حسين - مكماهون).

أما المدخل الثاني فهو القلق العربي من مشروع إقامة دولة يهودية على أنقاض فلسطين، بمساعدة ودعم من بريطانيا والولايات المتحدة.

أدى المدخل الأول إلى تمكّن ألمانيا من جذب متطوعين مسلمين من العرب للقتال في صفوف الجيش الألماني. وأدى المدخل الثاني إلى استقطاب الحاج أمين الحسيني مفتي القدس، مما وفر لألمانيا الهتلرية مظلة إسلامية شعبية تجسدت

الحلفاء (الولايات المتحدة - الاتحاد السوفيتي - بريطانيا - فرنسا) على المحور (ألمانيا - إيطاليا - اليابان)، إقامة إسرائيل وحماتها حتى اليوم.

طوال أكثر من أربعين عاماً من الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي على رأس حلف وارسو والولايات المتحدة على رأس حلف شمال الأطلسي، كان العالم الإسلامي موضع شد وجذب بين الحلفين. كانت الولايات المتحدة تستنهض الحمية الإسلامية ضد الشيوعية باعتبارها دعوة كفر والحاد. وكان الاتحاد السوفيتي يتقرب من العالم الإسلامي - وخاصة من الدول العربية - من بوابة الدعم السياسي (في مقابل الحماية الأمريكية لإسرائيل) والدعم العسكري (صفقة الأسلحة التشيكية مع

كانت الولايات المتحدة في ذلك الوقت لا تزال تضمد جراحها المادية والمعنوية من حرب فيتنام. وكانت حريصة على منع الاتحاد السوفيتي من استغلال ظروف معاناتها للتوسع جنوباً نحو بحر العرب عبر باكستان وإيران. فكان القرار الأمريكي بإثارة حمية المسلمين ضد الشيوعية الكافرة، وضد الاتحاد السوفيتي رمز هذا الكفر، باعتباره يحتل أرضاً إسلامية.

عملت الولايات المتحدة على تحريض الشعب الأفغاني وبالغت في مساعدته لرفض الاحتلال السوفيتي. كما عملت في الوقت نفسه على تحريض الشعب الباكستاني لدعم شقيقه الشعب الأفغاني المسلم. وحثت الدول الإسلامية الأخرى في الجزيرة العربية وخاصة السعودية والكويت ودول مجلس التعاون على تمويل «الثورة الإسلامية الأفغانية ضد الشيوعية الملحدة».

وهكذا بدأت أفغانستان تغرق

الكفار) أوزارها، غادر معظم المجاهدين المسلمين أفغانستان عائدين إلى بلادهم، حاملين معهم خيبة الأمل التي حولت شرف انتصارهم على السوفييت إلى وصمة عار إرهابية. فقامت كرد فعل على ذلك، حركات العنف في مصر والأردن والجزائر واندونيسيا على أمل تحقيق الحلم الذي تحول إلى كابوس في أفغانستان. ولا تزال هذه الدول - وغيرها من الدول الإسلامية كالسعودية والمغرب والكويت - تدفع ثمن خيبة أمل الأفغان العرب حتى اليوم. أما أفغانستان نفسها فخرجت من الاحتلال السوفيتي إلى الاحتلال الأمريكي.

ولم تتعامل كل الدول الإسلامية مع الأفغان العرب ومع الأفغان الباكستانيين بقدر كاف من التفهم والحكمة والاستيعاب، فلجأ بعضهم إلى عدد من الدول الغربية (بريطانيا - ألمانيا - فرنسا، إيطاليا وحتى إلى الولايات المتحدة نفسها) حيث تتوفر أنظمة ليبرالية أكثر احتراماً لحقوق الإنسان.

طالبت الدول الإسلامية باستعادتهم لمحاكمتهم بتهمة ارتكاب أعمال عنف وتجاوز القوانين. ولكن الدول الغربية التي لجأوا إليها وجدت فيهم. على ما يبدو - أداة صالحة للاستغلال في الوقت المناسب ضد حكوماتهم أو ضد جماعات إسلامية أخرى مناوئة لهذه الدول الغربية. فرفضت تسليمهم بحجة احترام حق اللجوء السياسي. حصل بعضهم على جنسية الدولة التي هاجر إليها. وأنشأ بعضهم الآخر جمعيات وتنظيمات دينية تحت سمع الدولة المضيفة وبصرها.. على أمل أن تتحول هذه الجمعيات والمنظمات عندما تدعو الحاجة إلى ذلك إلى أدوات بيد السلطات التي آوتهم.



مسكين الإسلام،

كم من جريمة

ترتكب باسمه!!





الفرنسي من أوروبا إلى الشرق. ولذلك رفض الاستجابة. لكن هذه المخطوطة التي انتقلت فيما بعد إلى نابليون ربما شكلت أحد العوامل التي أغرته وشجعته على تغيير أولوياته العسكرية من غزو إنكلترا إلى غزو مصر. وهكذا بدلاً من أن يسقط نابليون إنكلترا، لحقت به إنكلترا حتى مصر حيث وجهت إليه في أبي قبر الضربة التي عجلت بسقوطه فيما بعد في معركة واترلو.

قبل وفاة الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون صدر له كتاب عنوانه «اقتناص اللحظة». كشف فيه بكثير من الوضوح عن ثقافة كراهية الإسلام. فقال في الصفحة (١٩٥):<sup>(٤)</sup>.

«يحذر بعض المراقبين من أن الإسلام سوف يكون قوة جغرافية متعصبة ومتراصة. وان نمو عدد أتباعه، ونمو قوته المالية سوف يفرضان تحدياً رئيسياً. وان الغرب سوف يضطر لتشكيل حلف جديد مع موسكو من أجل مواجهة عالم إسلامي معاد وعنيف. إن وجهة النظر هذه، يضيف نيكسون، تعتبر أن الإسلام والغرب على تضاد. وان المسلمين ينظرون إلى العالم على أنه يتألف من معسكرين لا يمكن الجمع بينهما، دار الإسلام، ودار الحرب».

عكس نيكسون في كتابه صورة بشعة عن العالم الإسلامي عندما قال: (ص ١٩٤): «إن معظم الأمريكيين ينظرون نظرة موحدة إلى المسلمين على أنهم غير متحضرين، وسخين، بربرية، غير عقلانيين، لا يسترعون انتباهنا إلا لأن الحظ حالف بعض قادتهم وأصبحوا حكاما على مناطق تحتوى على ثلثي الاحتياطي العالمي المعروف من النفط». ولا شك في أن كثيرين في الولايات المتحدة وفي الغرب يشاركون نيكسون وجهة نظره التي يقول فيها (ص ١٩٦) «انه يوجد في العالم الإسلامي عاملان اثنان مشتركان فقط: هما الدين الإسلامي والاضطراب السياسي». وهذا يعنى أنه بما أن مصدر الدين هو القرآن، فإن مصدر الاضطراب هو العمل بما جاء في القرآن.

بعد انتهاء الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفيتي وانحلال حلف وارسو، جرى تصعيد متعمد للعدوانية الغربية ضد الإسلام، حتى أن مدير معهد بروكنغز في واشنطن Brookings Institution هيلموت سوننفلد Helmut Sonnenfeldt يقول: إن حلف شمال الأطلسي سوف يعيش، وأن الغرب سيبقى مجموعة دول لها قيم أساسية مشتركة. وستبقى هذه المجموعة

وقد تمكن رئيس أساقفة كانتربري الأسقف لاند من استصدار قانون عن مجلس العموم في عام ١٦٣٧ يمنع أي بريطاني من اعتناق الإسلام ويحرم شرب القهوة.

توجد في متحف هانوفر بألمانيا مخطوطة من القرن السابع عشر تحمل توقيع الفيلسوف الألماني ليبنيز. المخطوطة موجهة إلى الملك الفرنسي لويس الرابع عشر تدعوه بالتحاح إلى غزو الشرق، مصر وبلاد الشام. تتضمن المخطوطة ثلاثة إغراءات للقيام بالمهمة:

كان الإغراء الأول عبارة عن دراسة ميدانية وصفية لحالة الضعف العسكري والتناحر السياسي التي كانت مستشرية في هذه المنطقة؛ وشمل الوصف كذلك مواقع الحصون والقلاع تسهيلاً لمحاصرتها وإسقاطها. (تقرير استخباراتي)

أما الإغراء الثاني فكان عبارة عن محاولة لاستنهاض حمية الملك الفرنسي حتى يقوم بالمهمة التاريخية. فقد رفعه الفيلسوف الألماني إلى مصاف الإسكندر المقدوني والقيصر الروماني اللذين تمكنوا من السيطرة على الشرق وإخضاعه.

وتمثل الإغراء الثالث في محاولة إثارة العصبية الدينية للملك الفرنسي عندما دعاه ليبنيز إلى العمل على تحقيق الهدف المقدس من الحروب الصليبية التي انتهت في عام ١٢٧٠ وهو تحويل الشرق إلى المسيحية وربطه بالغرب مرة جديدة وإلى الأبد.

في ذلك الوقت كان الجيش الفرنسي الأقوى في أوروبا. وكان على رأس ألمانيا الملك دوشنبون الذي كان يمثل حالة ألمانية استثنائية - ربما - في نزوعه نحو السلام الأوروبي. اعتقد الملك لويس الرابع عشر أن رسالة صديقه الفيلسوف الألماني تستهدف إغراءه لإبعاد الجيش

فقط. فهناك عامل آخر لا يقل أهمية، شجع في السابق ويشجع اليوم على القيام بهذه العملية. ويتمثل هذا العامل في صورة الإسلام في الثقافة الغربية. وهي ثقافة تشكل في حد ذاتها أرضية صالحة لتبرير أي موقف سلبي وحتى أي موقف عدائي من العالم الإسلامي لدى الرأي العام الغربي بصورة عامة. وإذا كانت هذه الصورة السلبية قد تكشفت بعد جريمة ١١/٩/٢٠٠١ في نيويورك وواشنطن، فقد كانت موجودة ومترسخة قبل هذه الجريمة.

### مرحلة ما قبل ١١/٩/٢٠٠١

في منتصف القرن التاسع نشر المؤرخ البيزنطي جورج هامر تولوس كتابا عن تاريخ الإنسانية، في الفصل ٢٣٥ من هذا الكتاب وصف المسلمين بأنهم «رجال أغبياء مشوشو العقول»<sup>(٥)</sup>. ومن بعده وجه الراهب الفرنسي هيو كلوني (١٠٤٩-١١١٩) رسالة إلى أحد الأمراء المسلمين دعاه فيها إلى الارتداد عن الإسلام واعتناق المسيحية، مبرراً دعوته بقوله: «لقد خدع الشيطان أحفاد إسماعيل بالنسبة لإيمانهم بمن يعتقدون انه نبي، فكان طبيعياً أن يكون عقابهم نار جهنم»<sup>(٦)</sup>. ومن خلال هذا النص فانه يقدم القرآن على انه عمل شيطاني، كما يقدم النبي محمد عليه السلام على أنه رجل مخادع، ويصور المسلمين على أنهم مخدوعون مصيرهم جهنم.

وفي أواسط القرن التاسع عشر حرمت الحكومة الإنجليزية على رعاياها شرب القهوة. كانت حبات البن تُعرف يومذاك باسم «حبات محمد». وكان هناك اعتقاد بأن من يشرب القهوة يرتد عن مسيحيتها إلى الإسلام وأن الأتراك المسلمين يتآمرون على المسيحية في بريطانيا من خلال القهوة.

ارتفعت المطالب الرسمية الملحة من مصر والسعودية وسورية والمغرب باستعادتهم دون طائل. ومما زاد الطين بلة، نجاح هؤلاء باتخاذ الإعلام الغربي منبراً للترويج لأفكارهم ضد حكومات دولهم وأنظمتها. غير أن تنظيم القاعدة عرف كيف يعيد توظيف معظم هؤلاء من جديد. فقامت الخلايا السرية - هامبورغ ومدريد وباريس وميلانو التي شاركت بطريقة أو بأخرى في العمليات الإرهابية التي استهدفت نيويورك وواشنطن -

١١/٩/٢٠٠١، وقطار مدريد ٣/١١/٢٠٠٢، وشبكة المواصلات في لندن ٧/٨/٢٠٠٥، وقبل ذلك بالي وجاكرتا في إندونيسيا والدار البيضاء في المغرب، والرياض وجدة ومكة في السعودية، والأقصر والقاهرة في مصر.

لقد كان يسيراً على تنظيم القاعدة وقد قسم العالم إلى فسطاطين كفر وإيمان، ان يعيد تأهيل هذه العناصر لينقلها من المعسكر المعادي لأنظمة دولها التي تطالب باسترجاعهم لمحاكمتهم، إلى المعسكر المعادي للكفار»<sup>(٩)</sup>. أي للدول التي يقيمون فيها. وكانت النتيجة أن الإسلام دفع ثمن الرد الانتقامي على عملية ١١/٩/٢٠٠١، احتلال أفغانستان ثم العراق، ووفق ذلك كله، توجيه الاتهام الجماعي للمسلمين بأنهم إرهابيون، وإلى الإسلام بأنه مصدر للفكر الإرهابي!

لقد استخدم الإسلام في الصراعات الدولية أسوأ استخدام، وألحق هذا الاستخدام به أضراراً تشويهية فادحة. ووجد المسلمون أنفسهم واقعين بين مطرقة وسندان القوى المتصارعة. حدث ذلك في عام ١٩٩٠ في البوسنة عندما نشبت الحرب بين الصرب (الأرثوذكس) والكروات (الكاثوليك) بعد انهيار الاتحاد اليوغسلافي، ويحدث اليوم في الشيشان حيث التنافس بين روسيا التي تدافع عن اتحادها، والولايات المتحدة التي تعمل جاهدة على تمديد نفوذها السياسي والعسكري شرقاً حتى الحدود الروسية، وعبر الشيشان إلى العمق الروسي!..

ففي لعبة الأمم يكون الإسلام جيداً عندما يكون قابلاً للتوظيف والاستغلال. ولكنه يصبح دين تخلف وإرهاب عندما تستنفذ الأغراض من وراء استغلاله وعندما تنتفي الحاجة إلى ابتزازه، أو عندما يستعصى على الاستغلال أو الابتزاز.

مسكين الإسلام، كم من جريمة ترتكب باسمه!!

على أن استخدام الإسلام ما كان ليتحقق بضعف المسلمين واستضعافهم

### في الثقافة الغربية الدين ماضٍ.

والتمسك بالدين هو ارتداد عن المستقبل.

من هنا فان الثقافة الغربية لا ترفض

الإسلام كإسلام، ولكنها ترفض الدين،

إسلامياً كان أو مسيحياً





متماسكة معا من خلال الشعور بخطر خارجي: الموقف من الفوضى أو التطرف الإسلامى». ويعزى هذا التطرف الإسلامى دائماً وباستمرار إلى نصوص قرآنية، مع استبعاد أى عامل سياسى أو اقتصادى أو اجتماعى آخر.

وفى ربيع ١٩٩٠ ألقى هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية الأسبق خطاباً أمام المؤتمر السنوى لغرفة التجارة الدولية، قال فيه: «إن الجبهة الجديدة التى يتحتم على الغرب مواجهتها هى العالم العربى الإسلامى، باعتبار هذا العالم هو العدو الجديد للغرب (لاحظ كلمة الجديد أى بعد سقوط الشيوعية)». وإن حلف الأطلسى باق، رغم انخفاض حدة التوتر بين الشرق والغرب فى أوروبا، ذلك أن «أكثر الأخطار المهددة للغرب فى السنوات القادمة آتية من خارج أوروبا. وفى نهاية التسعينيات فإن أخطر التحديات للغرب ستأتى من ناحيتى الجنوب (أى المغرب العربى) والشرق الأوسط».

وكانت مجلة الايكونوميست البريطانية المعروفة برصانتها قد نشرت فى الوقت نفسه على الغلاف موضوعاً بعنوان: «الإسلام الأيديولوجية البربرية المعادية للغرب». وهذه الأيديولوجية قائمة على القرآن الكريم وعلى التزام المسلمين به.

وجاء فى دراسة أخرى نشرتها مجلة ألمانية متخصصة فى الدراسات الاستراتيجية<sup>(٥)</sup>:

اثر انتهاء الحرب الباردة وسقوط الشيوعية فى عام ١٩٩٠ أعلن الأمين العام لحلف شمال الأطلسى ولى كلايس (تولى منصب وزير الاقتصاد فى بلجيكا فيما بعد): «لقد حان الوقت الذى يجب علينا فيه أن نتخلى عن خلافاتنا وخصوماتنا السابقة وأن نواجه العدو الحقيقى لنا جميعاً وهو الإسلام.. إن الأصولية الإسلامية هى على الأقل فى مستوى خطورة الشيوعية سابقاً». ومن شأن هذه المقارنة أن تقدم للغرب القرآن الكريم على أنه مماثل للمانيفستو الشيوعى. وبالتالي فإنه كما كان كارل ماركس ولينين مصدر الخطر على الغرب والرأسمالية، كذلك هو الإسلام ممثلاً بالقرآن وبالنبى محمد عليه السلام.

وفى حزيران - يونيو من عام ١٩٩٤ انتهت مهمة الجنرال جون كالفان القائد الأعلى لقوات حلف شمال الأطلسى. وفى الاحتفال التكريمى الذى أقيم له فى بروكسل، ألقى كلمة تحدث فيها عن الأفق المستقبلية للحلف ولدوره.

تستوقنا من كلمته العبارة الآتية: «لقد ربحنا الحرب الباردة وما نحن نعود بعد ٧٠ عاماً من الصراعات الضالعة إلى محور الصراع القائم منذ ١٣٠٠ سنة. إنه صراع المجابهة الكبيرة مع الإسلام».

الواقع أن المشاعر المعادية للإسلام وللمسلمين هى التى تجعل من الإسلام عدواً عند الضرورة وهى التى تجعل من صورة هذا العدو، المقررة سلفاً والمغروسة فى الثقافة العامة أسرع انتشاراً وأكثر قدرة على الاستقطاب. فإثر إحراق آبار النفط الكويتية على يد قوات الغزو العراقى فى عام ١٩٩٠ طرحت جماعة من حزب الخضر فى ألمانيا نظرية تجاوزت فيها الحديث عن الصراع بين الإسلام والغرب لتقرر أن ثمة صراعاً بين الإسلام والتنوير والتحرير أيضاً. وطالب آخرون من الخضر الألمان ببوليس دولى لحماية البيئة من المسلمين العرب!!.

يلاحظ المفكر الأمريكى صموئيل هنتنغتون فى دراسة نشرتها مجلة الشؤون الخارجية (فورن افيرز) الأمريكية ونقلت مقتطفات منها صحيفة هيرالد تريبيون الأمريكية (عدد ١٩٩٣/٦/٨) أن المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية تفصل الشعوب عن هوياتها المحلية. وفى معظم أنحاء العالم يتقدم الدين لملء هذا الفراغ على يد حركات غالباً ما تتصف بالأصولية كالمسيحية الغربية، واليهودية، والبوذية، والهندوسية والإسلام.

وفى مقابلة أجرتها معه مجلة تايم الأمريكية (١٩٩٣/٦/٢٨) سألت المجلة البروفيسور هنتنغتون: إنك تؤكد أن الصراع المقبل الذى سيواجهه الغرب سوف يأتى من العالم الإسلامى. لماذا؟ أجاب هنتنغتون على السؤال بقوله: «إن الإسلام هو الديانة الأشد صرامة فى العالم خارج المسيحية. لا يوجد فصل بين الدين والسياسة. ثانياً، هناك شعور بأن العالم الإسلامى قد تعرض للضرب

واستغل على يد الغرب، وإن ثمة نوعاً من الصحوه فى طريقها إلى البروز مصدرها القرآن. إن الصراع سيأخذ عدة أشكال. والواحد منا لا يريد أن يظن بأن هذا يعنى قيام حرب ماحقة بين الإسلام والغرب».

وحتى اليوم، وفى أكثر الأحيان، عرف المسلمون العالم الغربى من خلال الأنظمة الاستعمارية، وباختصار، يجب أن نعى بكل موضوعية أن المسيحيين لم يحققوا بعد، كمجموعة، الشرط الأول والأهم الذى يؤهلهم لأن يكونوا موجودين وحاضرين فى عالم المسلمين كما هو، وعلى حقيقته.. وعلى هذا الأساس، فإن الحوار لن يكون ممكناً طالما أن مثل هذا الجهد لم يبذل بعد».

### مرحلة ما بعد ٢٠٠١/٩/١١

قبل هذا التاريخ، كان قساوسة الحركة الصهيونية المسيحية فى الولايات المتحدة يعبرون عن كراهيتهم للإسلام ويصوبون جام حقدهم عليه، ومن أبرزهم جيرى فولويل ويات روبرتسون وفرانكلين غراهام وهول ليندسى وكثير غيرهم. فهم يعتبرون أن المسلمين بوقوفهم فى وجه الإسرائيليين يعطلون المشيئة الإلهية ويؤخرون العودة الثانية للمسيح.

وقد ازداد نفوذ هؤلاء القساوسة السياسى فى عهد الرئيس جورج بوش، ثم بعد جريمة ٢٠٠١/٩/١١. فالرئيس الأمريكى مدين لهم بالانتقال من حالة الإدمان على المسكرات إلى الإيمان «بالولادة الثانية»، وبالعامل من أجل تسريع العودة الثانية للمسيح. وتحت مظلة هذه العلاقة فإن القس ليندسى حذر من «أن المسلمين لا يريدون فقط تدمير دولة إسرائيل ولكنهم يريدون تدمير الثقافة اليهودية - المسيحية التى تشكل أساس الحضارة الغربية. إنهم



تمكّن رئيس أساقفة كانتربرى  
الأسقف لاند من استصدار قانون  
عن مجلس العموم فى عام ١٦٣٧ يمنح  
أى بريطانى من اعتناق الإسلام  
ويحرم شرب القهوة



كالشيوعيين فى أعماق فلسفتهم توق شديد لدفننا جميعاً»<sup>(٦)</sup>.

كذلك فإن القس بات روبرتسون وصف الإسلام بأنه «دين الإرهاب».. وأنه «يهدف إلى السيطرة على العالم». كما اتهم المسلمين الأمريكيين بأنهم ينظمون خلايا إرهابية لتدمير الولايات المتحدة». وجاءت تلك الاتهامات من خلال برنامج التلفزيونى الواسع الانتشار «نادى السبعماية».

ووصف القس جيرى فاين Jerry Vine النبى محمد عليه السلام فى مؤتمر المحفل المهدانى الجنوبى الذى عقد فى فلوريدا فى عام ٢٠٠٢ بأنه الشيطان نفسه<sup>(٧)</sup>.

وكان فرانكلين غراهام Franklin Graham وهو نفسه أيضاً الذى ترأس الصلاة الخاصة بمناسبة أداء القسم الدستورى للرئيس جورج بوش الابن، قد قال عن الإسلام إنه دين شيطانى وشريرى<sup>(٨)</sup>. وقال عنه القس جيرى فولويل إنه دين «مزور».

وهذه الأوصاف والنعوت توجه أساساً إلى القرآن الكريم باعتباره مصدر التشريع ومنبع الثقافة فى الإسلام.

ولم يجد القس غراهام فى المسلمين الأمريكيين «أياً تكن أصولهم سوى أعداء للديموقراطية والليبرالية ولطريقة عيشنا»... وعندما احتج المسلمون الأمريكيون على هذه الأقوال لأنها تحرض الأمريكيين الآخرين عليهم، رد غراهام بقوله: «إن الذين هاجموا الولايات المتحدة ودمروا برجى مركز التجارة الدولى فى نيويورك لم يكونوا من اللوثريين ولا من الميثوديين، بل كانوا من المسلمين.. ولذلك فإن وجودهم يشكل خطراً على المجتمع الأمريكى».

تتكامل هذه الدعوات الاستعدائية مع الموقف الإسرائيلى من الإسلام. ففى مطلع شهر مارس - آذار ٢٠٠٣ نشرت صحيفة هارتس الإسرائيلية تصريحاً لوزير السياحة الإسرائيلى بنلى ألون قال فيه: «من الواضح أن الإسلام فى طريقه إلى الزوال.. فما نشاهده اليوم فى العالم الإسلامى ليس انتفاضة إيمان قوية، بل انطفاء جذوة الإسلام. أما كيف سيزول، فبكل بساطة، بقيام حرب مسيحية صليبية ضد الإسلام فى غضون بضعة سنوات ستكون الحدث الأهم فى هذه الألفية، وطبعاً سنواجه مشكلة كبرى حين لا يبقى فى الساحة سوى الديانتين الكبيرتين، اليهودية والمسيحية، غير أن ذلك ما زال متروكاً للمستقبل البعيد»<sup>(٩)</sup>.





## المسلمون أمام تحديات العصر؛

تحدد علاقة المسلمين بالعالم المعاصر العوامل الرئيسية التالية:

١ - العولمة، والتخوف الإسلامي مما قد تحمله في طياتها من إلغائية للثقافة ولقيم وللهوية الإسلامية، ومن هيمنة سياسية واقتصادية على العالم الإسلامي.

٢ - الإسلاموفوبيا، بمعنى كراهية المسلمين التي تنتشر كالنار في الهشيم في العالم المعاصر والتي ازدادت حدة بعد جريمة ١١/٩/٢٠٠١ في نيويورك وواشنطن.

٣ - التخلف عن مواكبة التقدم العلمي والاقتصادي والإنمائي العالمي، الذي ترزح تحته معظم المجتمعات الإسلامية، والذي يترافق مع ارتفاع في نسبة الأمية، والبطالة والإنتاجية.

٤ - الخلافات التي تعصف بين دول العالم الإسلامي والتي تحول دون تحوله إلى كتلة مترابطة تحتل موقعا محترما في لعبة الأمم وفي صناعة القرارات الدولية. الأمر الذي يجعل المسلمين غناء كغناء السيل في مجرى العالم المعاصر، من دون أن يشكو من قلة في العدد أو من قلة في الثروات الطبيعية.

وتتداخل هذه العوامل وتتشابك بحيث يتعذر معالجة أى منها بمعزل عن العوامل الأخرى. أما الجامع المشترك بينها فيتمثل في المبادئ الأساسية التالية:

المبدأ الأول تحول القضايا الوطنية (مثل حقوق الأقليات وحتى الأفراد وحرية العبادة وسواها) إلى قضايا عالمية (مؤتمر الأقباط في الكونغرس بتاريخ ١٦/١١/٢٠٠٥). وكذلك تحول القضايا العالمية (مثل السلام والتنمية وحركة رؤوس الأموال والاستثمارات والخدمات وتبادل السلع) إلى قضايا وطنية.

المبدأ الثاني هو أن القرار الوطني في دولة ما لم يعد ملكاً مطلقاً لأصحابه فقط أو وقفاً عليهم فقط. ولكن عملية اتخاذها باتت جزءاً من عملية أوسع تلعب فيها عناصر ما وراء الحدود دوراً أساسياً. وبالتالي فإن المثليين المنتخبين المكلفين بتسييس وإدارة أمور شعب ما أو دولة ما، أصبحوا رهينة نظام عالمي له قوانينه الخاصة التي لا تلتقى دائماً وبالضرورة مع القوانين المحلية، والتي كثيراً ما تتناقض معها أيضاً.

المبدأ الثالث هو انحسار فرص التنوع الثقافي الوطني علماً بأن الدين مكون أساسي، بل المكون الأساسي لكل ثقافة.

إن الشعور بالاختناق الذي بدأت تعاني منه ثقافات متعددة يعود إلى سيطرة ثقافة واحدة على العالم وإلى محاولة فرض قيمها وتعميد هذه القيم مقياساً وحيداً للتخلف أو للتخضر.

أمام هذا الواقع يجد المسلمون أنفسهم أمام تحديات لا سابق لها تضعهم في جبهة ضد عولمة الفقر من حيث انه امتهان للكرامة الإنسانية. فالدين أساساً هو من أجل الإنسان وليس العكس. وفي العقيدة الدينية الإسلامية الكثير من التعاليم التي تحض على التكافل الاجتماعي بين الناس.

إن الإسلام يحترم الملكية الفردية ولكنه في الوقت نفسه يحرم خزن الأموال، بمعنى انه يحرم منع او عرقلة تداولها بين الناس.

والذين يكنزون الذهب والفضة (الأموال) ولا ينفقونها في سبيل الله (في سبيل الجماعة) فبشرهم بعذاب أليم<sup>(١)</sup>.

ويشدد الإسلام على ضرورة توظيف المال فيما ينفع الناس واستثماره في الإنتاج وفي تشغيل اليد العاملة.

ويحرص الإسلام في نظريته الاقتصادية على أن تكون الثروة المالية متداولة بين الناس. وقد سن التشريعات التي يؤدي اعتمادها إلى أن لا يكون المال دولة بين الاغنياء منكم<sup>(٢)</sup>.

أما على المستوى الثقافي، فمن الملاحظ ان العولمة تتجاوز الخصوصيات الثقافية المختلفة بما يؤدي الى هيمنة ثقافة واحدة، لها مقومات قيمية وأخلاقية تختلف بل تتناقض عن كثير من المقومات القيمية والأخلاقية الإسلامية.

إسلامياً، تكونت عناصر الثقافة والتقاليد الثقافية الإسلامية ونمت وتطورت بتناغم اساسي مع الدين. وهذا يعني أن فك الارتباط بين الدين والثقافة الإسلامية مجرد هذه الثقافة

من هويتها ويقتلعها من جذورها الروحية. وعلى العكس من ذلك فان الثقافة الغربية الحديثة -العولمة- تكونت خارج الدين وفي احيان كثيرة قامت على تحديه وعلى التناقض معه.

وهذا يعني أن نموها أو تطورها يتطلب دائماً الإبقاء على الحالة التمردية والانقلابية للثقافة على الدين، والعمل على عزله عن التدخل أو التأثير في مسيرتها. أدى ذلك إلى قيام الهوة الواسعة بين الدين والعلمانية، أي بين ما هو إلهي وما هو بشري، بين ما هو مقدس وما هو دنيوي، حيث الهيمنة في ثقافة العلمنة المعولمة هي دائماً وبالضرورة للدنيوي.

من هنا التناقض بين الثقافة الغربية والثقافة الإسلامية.

إن التشخيص الغربي لواقع العالم الإسلامي يقوم أساساً على هذا التناقض. فالغرب يعزو تأخر المجتمعات الإسلامية إلى تمنعها عن فك ارتباطها الثقافي بالدين. وهو يرى أن هذه المجتمعات تقصر عن مواكبة المسيرة الحضارية لأنها غير قادرة على ان تحذو حذوه بصناعة ثقافة لا دينية.

في الثقافة الغربية الدين ماض. والتمسك بالدين هو ارتداد عن المستقبل. من هنا فان الثقافة الغربية لا ترفض الاسلام كإسلام، ولكنها ترفض الدين، إسلامياً كان أو مسيحياً، من حيث هو مكون لثقافة عصرية. وتعتبر التمسك به حجر عثرة في وجه انتشار الحضارة الإنسانية وعولمتها.

ويصل التباين بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية (أرجو أن تلاحظوا أنني هنا أشير إلى الغرب وليس إلى المسيحية لأن التعاليم والقيم المسيحية منفصلة تماماً عن ثقافة الغرب وحضارته) إلى نقطة اللالقاء عندما يعتبر الغرب أن نجاحه وتفوقه هو ثمرة اخذه بالرأسمالية وبالعلمنة،

وعندما يعتبر في الوقت نفسه ان فشل العالم الإسلامي وسقوطه، كما يقول المستشرق ارنست رينان<sup>(٣)</sup>، هو ثمرة التزامه بالدين. أما العالم الإسلامي فانه يعزو تفوق الغرب إلى ممارسة الاستعمار النهبي، ويعزو تأخر الشعوب الإسلامية إلى ما تعرضت له من استعمار وابتزاز وإلى ما واجهته من محاولات استهدفت ولم تزل تستهدف مسح شخصيتها وثقافتها الدينية في محاولة لضعافها ومن ثم تدجينها واستتباعها.

لا يستطيع العالم الإسلامي ان يقف في وجه هذا المد الإلغائي بمجرد الرفض. فالرفض لم يعد ممكناً واقعياً بعد ان انتجت هذه الحضارة كل الوسائل التي تمكنها من تعميم ثقافتها وقيمها واذواقها على الآخرين. ولكن العالم الإسلامي يستطيع بالانفتاح على الحضارة الإنسانية، وبالمشاركة في صناعتها، وبالمساهمة في إبداعاتها أن يقف في وجه المد الإلغائي الذي تتعرض له ثقافته المميزة. بل انه يستطيع، مع المسيحية، أن يضي عمقا روحيا على هذه الحضارة وان يهدب سلوكها بحيث تكون أكثر انسانية مما هي عليه الآن.

قلنا هناك مشكلة حقيقية في العالم الإسلامي، غير أن هذه المشكلة ليست موجودة في جينات الخلايا الحية في الانسان المسلم. أي أنها ليست وراثية. ولكنها موجودة في العقول، وبالتالي لا يمكن معالجتها الا من خلال تغيير ما في هذه العقول، وذلك من خلال تحفيزها على الانفتاح على آفاق المعرفة التي يحث القرآن الكريم في العديد من آياته الكريمة على اكتشافها في الكون وفي أنفسنا، «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم».

تميزت الحضارة الإسلامية بقدرتها على التكيف مع وعلى التعلم من الحضارات الأخرى. ولم تمارس في أي مرحلة من مراحلها دورا إلغائياً أو تذويبياً للحضارات الأخرى. أما الحضارة الغربية فانها تؤمن بفوقيتها وتحاول ان تفرض نفسها انطلاقاً من هذه الفوقية على الحضارات الأخرى. وبالتالي فان المشكلة الجوهرية لا تكمن في رفض الحضارات الضعيفة والمتراجعة لمبدأ التكيف، بقدر ما تكمن في اصرار الحضارة الغربية بفوقيتها وليس بتفوقها على منهج الامتصاص والالغاء. يعترف ثوريت وكتافيو باز (الحائز على جائزة نوبل) أن فشل الفلسفة الغربية في القرن العشرين يعود إلى عجزها عن تقديم صيغة مركبة من تيارها الفلسفيين، الليبرالية والماركسية،



### هناك مشكلة حقيقية في العالم

الإسلامي، غير أن هذه المشكلة ليست

موجودة في جينات الخلايا الحية

في الإنسان المسلم. أي أنها ليست وراثية.

ولكنها موجودة في العقول





الجريمة قد وظفت على اوسع نطاق لتعميم هذه الثقافة وتعميقها وتجذيرها في العقول والقلوب. وما منهجية تشويه الاسلام والمطالبة باعادة كتابة بعض الآيات القرآنية (٩) وحذف (٩) بعضها الآخر، أو اعتماد تفاسير معينة لها، سوى أحد مظاهر ثقافة الاستعداد المتجذرة منذ عقود بل ومنذ أجيال والتي تتناقض مع حرية المعتقد ومع القيم الانسانية وحقوق الانسان.

على أن المسؤولية الكبرى تقع على عاتق العالم الإسلامي الذي لم يفعل شيئاً يذكر لتصحيح ثقافة الجهل والتجاهل التي تحولت مع الوقت إلى ثقافة استعدادية منغرس في الفكر الغربي. كان يكتفى بالإدانة عن بعد، متكئاً على مخدة نظرية المؤامرة أو على نظرية الفسطاطين. ثم جاءت جريمة ١١/٩/٢٠٠١ لتعطى هذه الثقافة مبررات وأبعاداً جديدة ألهبت مشاعر اللاتقاة والكراهية (اسلاموفوبيا). ورغم أن بعض الأصوات الإسلامية العاقلة ترتفع من هنا أو من هناك مصححة ومحاوررة بالتي هي أحسن، أو منبهة ومحذرة من عواقب الجهل والتجهيل، فإن صدى أصوات النشاز الإسلامي تذهب بعيداً جداً مثل ضربات الطبل الفارغ الذي يصم الأذان.. الأمر الذي يعمق الهوة بين الإسلام وثقافة كراهيته واستعدائه. ■

## الحواشي:

- (1) Wolfgang G. Schwanitz- Germany and The Middle East, 1871-1945, Ib .٢٠٠٤-roamericanin/ vervuert
- (2) Gaudeul, Encounters and clashes, Vol. II, P. 78
- (3) Ilvid. Vol II, P. 19
- (4) Richard Nixon, Zeize the Moment, Simon Schuster, N.Y. 1992. P. 194.
- (5) Blaetter fuer deutsche u. internationale Politik 10/1990, P.1158-1163.
- (6) H. Lindsay, The Final Battle, P. 45.
- (7) Richard Vara, Texas secession rumor, attacks on Islam mark Baptist meeting, House Chronicle, 10 June (2002).
- (8) Washington Post, Vol. 18, 2001.
- (٩) ما هو الهدف الحقيقي لأعمال العنف في الرياض - باتريك سيل، جريدة الحياة ١٦/٥/٢٠٠٣.
- (١٠) سورة التوبة - آية ٣٥.
- (١١) سورة الحشر - آية ٧.
- (١٢) «الماركسية والعالم الإسلامي» - ص ٩٨٩٧

تخطط وتقرر وتنفذ باسم العالم الاسلامي لما تعددت الدكاكين الجهادية ولما وجد مليار و ٢٥٠ مليون مسلم انفسهم مضطرين لأن يدفعوا من مصالحتهم ومن كراماتهم الإنسانية، وحتى من رصيد عقيدتهم الدينية ثمن ردود فعل يبررها الاحتكام الى اليد وليس الى العقل والمنطق. ولا يغير من هذا الامر سواء كانت هذه المرجعية المركزية سياسية متمثلة في منظمة المؤتمر الاسلامي او دينية متمثلة في مجلس عالمي للافتاء.

لقد قررت القمة الاسلامية التي عقدت في ماليزيا وضع استراتيجية اسلامية جديدة لمخاطبة العالم غير الاسلامي بما يصحح الصور النمطية السلبية التي تتخذ ذريعة لتمرير قرارات واجراءات معادية للمسلمين في دولهم وفي خارجها. ولكن هذا القرار الهام يذكرنا بقراراهم صدر عن القمة الاسلامية التي عقدت في عام ١٩٨١ في الطائف ينص على وضع استراتيجية لتحرير مدينة القدس. ولكن لا هذه الاستراتيجية التحريرية أبصرت النور وحررت حبة تراب واحدة من القدس، ولا استراتيجية الخطاب الجديد تحمل اية تباشير على احتمال ولادة لغة جديدة في مخاطبة العالم.

ان لحكومات الدول الاسلامية مسؤولياتها، وللشعوب الإسلامية خياراتها. فإذا كانت الحكومات ملوية الذراع مغلوبة على أمرها، فلتكن خياراتكم الشعبية تعبيراً عن الضمير الاسلامي الحي المؤمن بأن لا غالب الا الله.

## خاتمة:

ان ثقافة العداة للإسلام ليست ثمرة جريمة ١١/٩/٢٠٠١، وإن كانت هذه

للكاتب الأمريكي أوليفر روي Oliver Roy . وهذا العام ٢٠٠٥ صدر كتاب آخر عنوانه ارض الجهاد: القوة العسكرية، القيم والحداثة : Landseapes of Jihad , Militancy , Morality, Modernity . للكاتب فيصل دافجي Faisal Devji . يعكس الكتابان إضافة إلى عشرات الكتب المماثلة بكل اللغات الحية، تصوراً مشتركاً للعالم الخائف من الإسلام؛ ومن الصيغ الجديدة لممارسة مفهوم الجهاد في ظل العولمة.

وبموجب هذا التصور تقدم الجهادية على انها نوع جديد من الحركات التي تتجاوز المفاهيم التقليدية للأهداف السياسية (في اطارها الجغرافي المحدد) بغاية تحقيق مطالب مطلقة وغير محددة مثل العدالة والكراهة.

وبموجب ذلك تحولت الحركة الجهادية بهذا المفهوم المحلي الى عالمي، والمحدود إلى مطلق. وتنقل الجهاد بالتالي من كونه واجباً جماعياً تقوم به الامة أو الدولة في اطار حساب دقيق لتوازن القوى والامكانيات الريح أو الخسارة، إلى عمل فردي يؤديه شخص واحد او حفنة من الاشخاص المتحررين من مثل هذه الحسابات المعقدة والمتفلتين من مسؤولية النتائج والعواقب المترتبة عليها، أيا تكن.

والمرهنة في ذلك هي على ما توفره ادوات العولمة الجديدة من إمكانيات لتوصيل هذا العمل الضردى المحدود الى الامة كلها، والى العالم كله وبصورة مثيرة عبر الاعلام وشاشات التلفزة. بحيث يتم التعامل مع هذا العمل الجهادي وكأنه عمل تتعاطف معه الامة كلها او انه يتم من أجلها وباسمها.

وبذلك تتحمل الامة تبعات عمل يقوم به فرد أو افراد لا يخضع أو لا يخضعون للمساءلة او للمحاسبة. فيما تدفع الامة كلها ثمن ما يفعل او يفعلون. لو كانت هناك مرجعية واحدة

بحيث تركت الحل الوحيد في الامتناع او الاستسلام. والآن بسقوط الماركسية حاولت الفلسفة الغربية ان تنهى التاريخ بانتصار الليبرالية، مما يعنى إلغاء كل القيم الاخلاقية والتنظيمية التي تزخر بها الحضارات الأخرى، بما فيها الحضارة الاسلامية.

وكما لاحظ طارق بنوري المدير التنفيذي لمعهد دراسات الانماء السياسي في اسلام آباد - باكستان قبل نحو عامين من احداث ١١/٩/٢٠٠١، «فإن الكتاب الغربيين يواصلون تقديم الاسلام على انه مرادف للاصولية والإرهاب. هذه الكتابات تنطلق من شعور عميق بعداء يكمن في اللاوعي، يصور الإسلام على انه الجانب الشرير والجاهل في الحضارة الغربية. وتصور هذه الكتابات الغرب على انه العقل. والإسلام على أنه الجسد. الغرب على انه الثقافة، والإسلام على انه الطبيعة. الغرب على انه مذكر، والإسلام على انه مؤنث. وفي المحصلة الأخيرة يبدو الإسلام وكأنه مثير للغضب والهيجان والعنف والإرهاب، وكلها غرائز جسدية؛ وهي تحتاج وفقاً لمفهوم العصرية إلى التدجين. وفي الوقت نفسه يرفض المفكرون الغربيون القبول بشرعية اي فكر او قيم او معرفة تصدر عن الإسلام، إذ كيف يمكن التعلم من الجسد؟ بهذا المعنى، يصبح الإسلام عن حق «الأخر» البسيكولوجي للحضارة الغربية. ويجري التعامل معه على هذا الأساس، وهو الأساس الذي أقام عليه صموئيل هنتنغتون نظريته الصدامية مع الحضارة الاسلامية.»

لا يكفي أن ننظر إلى أنفسنا من خلال رفضنا للعولمة او من خلال تحفظنا عليها جزئياً أو كلياً. ولا يكفي أن ننظر إلى العالم من خلال انفسنا باعتبار اننا «خير أمة أخرجت للناس». بل يتحتم علينا ان نتعرف أيضاً على نظرة العالم الينا من خلال القيم التي يعتمدها ويؤصلها ويعمل على بثها ونشرها، ومن خلال المعطيات الواقعية التي تتولى - شئنا أم أبينا - صياغة الأرضية الاقتصادية والمالية للعالم، ورسم المعادلات السياسية والعسكرية المرتبطة بها.

إن قلق العالم من ظاهرة الإرهاب، وقلقنا من ربط العالم لهذه الظاهرة بالإسلام، يشكلان وجهين لواحد من أخطر وأهم التحديات التي يواجهها العالم ككل، والعالم الإسلامي بصفة خاصة.

في عام ٢٠٠٣ صدر كتاب عنوانه الإسلام المعولم Globalized Islam